لغز ستافيسكى

تعتبر حكاية « سيرجى ستافيسكى » مثلاً صارخًا للفضيحة والغموض ، لماذا قامت الحكومة بفرض الحماية على المحتال المخادع .. ؟ ، ماذا حدث لثمانية عشر مليونًا من الدولارات التى سلبها بالغش والخديعة؟ ، ولا شك أن جميع الجهود المبذولة للكشف عن إجابة حقيقية عن هذه الأسئلة ، قد ذهبت كلها أدراج الرياح ، يوم اخترقت رصاصة غادرة رأس « ستافيسكى » لتنهى حياته ، وليدفن معه السر ، ولنقف جميعًا أمام أحد الالغاز الغامضة التى يصعب إيجاد حل لها ، وسواء أكان « ستافيسكى » قد انتحر بإطلاق الرصاص على نفسه ، أو أن يدًا أثمة امتدت لتنهى حياته بهذه الطريقة المأساوية ، فإن أحدًا لم يستطع فك رموز هذا الطلسم الغامض ، وهكذا مات « ستافيسكى » ليدفن معه أحد الأسرار الهامة فى التاريخ .

وأيًا كانت الإجابة ، فإن المؤكد أن موت هذا الرجل ذا المظهر المتواضع ترك إرثًا ثقيلاً تسبب فى سقوط حكومتين متتاليتين ، وهددت الحياة الديمقراطية بشكل خطير فى فرنسا .

ولد « متافيسكى » فى أوكرانيا عام ١٨٨٨ م ، وهو يهودى الديانة روسى الجنسية ، هاجر إلى فرنسا ، وهناك سجل رقمًا قياسيًا فى الاشتغال فى مجموعة من الأعمال الفاشلة ، التى انتهت كلها بكوارث مالية فادحة ، عمل موظفًا فى منتدى للأغانى ، ومديرًا لنادى ليلى ، ومديرًا لوكر للقمار ، وتشتمل معظم هذه الوظائف على أعمال تدور خارج دائرة الشرعية والقانون ، وربما وبسبب هذه الأعمال المشبوهة تمكن « ستافيسكى » من الفوز بالحماية من بعض الأنصار ، وهكذا استطاع « ستافيسكى » أن يمارس حياته ، وشعاره الدائم ليس المهم ماذا تعرف ولكن الأهم من تعرف .

سیرجی ستافیسکی

خلال الأعوام القليلة التالية نجح « ستافيسكى » بالرغم من المصاعب التى واجهته أن يسلب أموالاً ضخمة بالخداع والحيلة ، أحيانًا ، وبالمكر والدهاء فى أحيان أخرى ، وتضمن ذلك الاستيلاء على عائد سند مزيف من السندات المالية التي يصدرها مكتبًا للرهونات تابعًا لبلدته بلدة بايون بالقرب من بارتيز فى أقصى الجنوب الغربى لفرنسا ، ويقدر أنه اكتسب حوالى ١٨ مليون دولار ، خلال ممارسته لهذه الخدعة الماكرة .

ومع ذلك ما كانت مثل هذه الألاعيب لتمر مرور الكرام ، دون أن يلحظها أحد ، وكثيرًا ما وثبت السلطات على منزله وألقت القبض عليه لأكثر من مرة ، ولما كان « ستافيسكى » يتمتع بالدرجة الأولى بكثرة اتصالاته ومعارفه من الوزراء والنواب وكبار رجال البوليس ، ويحتمل أنه فاز بهذه الحماية تحت تأثير إغراء الرشوة التى كان يقدمها بسخاء ، وهكذا تمتع بالفعل بحصانة قوية ضد إجراءات إقامة الدعوى والتعرض للمحاكمة .

تم اقتحام هذه القلعة الحصينة وبدأت المحاكمة فى ١٩٢٧ م ، قدمت سلسلة من المبررات والحيل القانونية فى محاولة للتأجيل والتسويف ، تسببت فى استمرار التحقيق لسبع سنوات وفى المرات التى كان يفرج فيها عنه بكفالة (تكررت لما لا يقل عن ١٩ مرة) استمر فى ممارسة نشاطاته المعقدة غير القانونية .

وأخيرًا عثر على المخادع مقتولاً برصاصة اخترقت رأسه ، هل انتحر ؟ ، هل قام أحد رجال البوليس بمطاردته وملاحقته كى يضع حدًا لحياته بغرض حماية الآخرين ؟ لا أحد يعرف الإجابة الصحيحة على وجه اليقين ، استقرت الرصاصة التى اخترقت رأس المخادع بغرابة شديدة فى مكان منخفض للحائط الواقع خلف « ستافيسكى » ، وإذا أخذنا فى الاعتبار أنه كان يتميز بطول القامة فلاشك أن الأمر يدعو للتساؤل ... ومع ذلك ظل السؤال حائرًا يبحث عن الإجابة .

فجرت وفاته فى ٣ يناير ١٩٣٤ م كل جوانب الفضيحة ، تجنب رئيس الوزراء « كاميل شاوتمب » إجراء تحقيق للكشف عن الطريقة التى استطاع بها « ستافيسكى » الاحتفاظ بالحصانة ، والهروب من التعرض لإجراءات المقاضاة ، وإقامة الدعوى ضده ، وتقديمه للمحاكمة وتأجيلها لمدة طويلة ، ربما لأنه كان يعلم مسبقًا نتيجة التحقيق ، ولعلمه أن زوج أخته متورط فى القضية بالرغم من أنه يقع على رأس السلطة فى باريس التى تبدأ فى اتخاذ إجراءات إقامة الدعوى العامة .

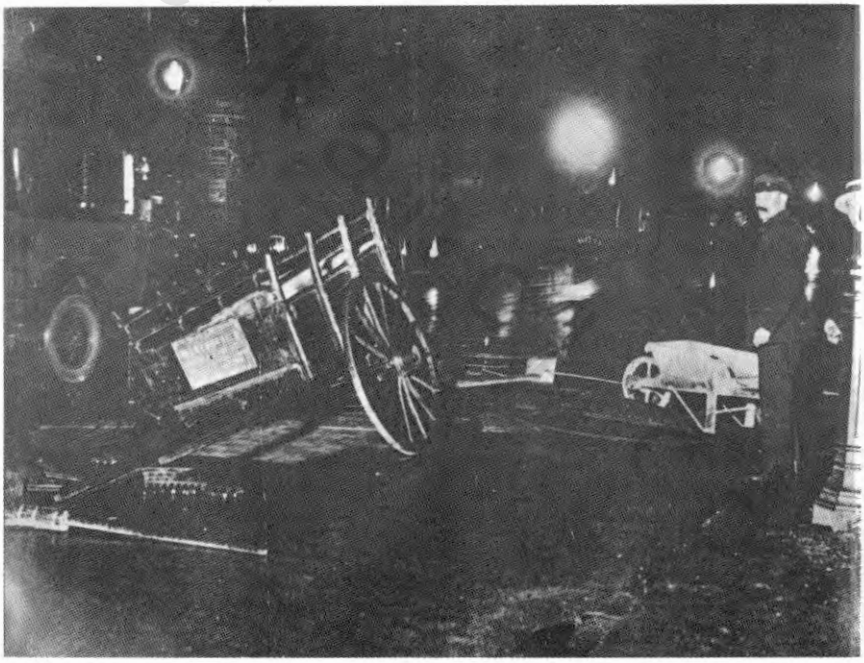

الدمار الذى لحق بالعاصمة الفرنسية أثناء أزمة ستافيسكى

قامت أحزاب اليمين والأحزاب الشيوعية بتحريض وإثارة الجماهير ، وعلى الفور اندلعت أعمال العربدة والهياج الشعبى فى شوارع باريس ، واضطر « كاميل » لتقديم استقالته ، وتولى المسئولية من بعده ادوارد دلاديه ، وقام على الفور بطرد مدير شرطة العاصمة ولكنه اضطر هو الآخر للاستقالة إثر حوادث شغب ومظاهرات دامية ، استمرت من ٦ – ٩ فبراير قتل خلالها ١٤ فردًا .

تم تشكيل وزارة ائتلافية على عجل لإدارة شئون البلاد ، استمرت فى أداء عملها حتى عاد الاستقرار فى شهر نوفمبر ، ولكنه الهدوء الذى يسبق العاصفة ، حيث تعرض القاضى الذى أعلن أنه يحتفظ بوثائق خطيرة فى غاية السرية تدين زوج أخت السياسى المستقيل لحادث فظيع حيث عثر عليه على شريط السكك الحديدية مقطوع الرأس .

تعرض أعوان « ستافيسكى » للمتاعب فى عام ١٩٣٥م واحتشدت قاعة المحكمة بجمهور غفير بحيث لم يبق مكان لقدم ، واستمعت هيئة المحكمة إلى ٢٧٠ شاهدًا ، ومع ذلك ظل لغز اختفاء النقود المسلوبة بلا إجابة حيث دفنت كل الأسرار مع جثمان المخادع الماكر .

زوجة ستافيسكى